تعب القلب

عن الانجليزية

بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي

« إذا كان الطبيب شابا شديد الجاذبية فانه خليق بأن يجد كل مريضة يزورها مصابة بتعب القلب »

* * *

صاحت المريضة الشابة الراقدة على السرير فى لهجة ساخرة :

— أيتها الأخت حنا ! يا أخت حنا ! من عساك ترين من الشباك ؟

فتلفتت حنا مبتعدة عن الشباك وقد التهب خداها بحمرة الخجل ، فلقد أصبح عادة لها أن تقف فى الشباك مترقبة كلما دنا موعد ساعى البريد

وسارت الممرضة حتى دنت من مريضتها فانحنت عليها ناظرة إلى وجهها الجميل الشاحب ، وقالت عن غير قصد :

— لا أرى أحداً غير الدكتور سيمور ، وما أظنه قادماً إلى هنا

فضحكت فيث ميرتون ضحكة خفيفة مستهترة ، وقالت :

— ولم لا ؟ لم لا يحضر إلى هنا يا أخت حنا ؟

فأجابت حنا منبهة المريضة فى شىء من الرقة :

— أنا لست أختاً إن أنا إلا ممرضة عادية

— ولكنك تقطعين وقت فراغك كله فى ترقب إنسان ما أو شىء ما ، إذن يجب أن تكونى الأخت حنا . ثم أحب أن أعرف لماذا لا ينبغى أن يزور الدكتور جون سيمور إحدى مريضاته ؟

أجابت حنا فى لهجة الجد :

— لأنه زارها صباح اليوم ، وليست حالتك الصحية بداعية إلى زيارة ثانية

— ولكننى مريضة بقدمى . فهل تظنين أن الطبيب لا يحضر إلا لزيارة مريض يحتضر ؟ إن هذا لهو السخف يا عزيزتى ! والآن هاتى علبة الزينة ، وسأريك فى الحال لماذا يهتم الدكتور جون هذا الاهتمام بمريضته ؟

فأجفلت حنا وقالت منكرة :

— علبة الزينة ؟ ولكن لا يجوز أن تصبغى وجهك ولو الآن على الأقل

— ولماذا ؟

— لأن الطبيب قد يخدع بلون الصبغ عن لونك الطبيعى .

فغمزت فيث بعينها لممرضتها وقالت :

— إن طبيبى لن يخدع ، وعلى كل حال لقد تحسنت صحتى ، وليس بى ما أشكو منه . والحق أننى لا أدرى لماذا يقضى علىّ بأن ألزم الفراش هذا الوقت الطويل . إنى لأرى أن المسألة كلها مؤامرة !

فقالت حنا متلطفة :

— يجب أن تتحملى فترة أخرى قصيرة .

— واها ! لا تلجئى إلى هذا الأسلوب الذى يخاطب به المرضى يا أخت حنا ! ولتعطنى المشط إذا كنت لا تسمحين بأحمر الشفاه . ولتعلمى أن الرجل العزيز إنما يحضر ليرانى لا ليزور المريضة رقم ٩٩

فنظرت حنا فى سكون إلى جسم مريضتها الجميلة الرشيقة . فرأتها جذابة فى مرضها كما هى جذابة

فى صحتها حين تجرى من مكان إلى مكان مع أصدقائها المرحين . فلا عجب إذا رأى الدكتور جون سيمور أن الضرورة تقضى بزيارتها .

وجلست حنا فى صدرها زفرة كادت تخونها ، إذ من المؤلم أن يرى الإنسان سعادة غيره من الناس وقصص غرامهم ، فى حين لا يشعر هو بالسعادة ، ولا ينعم بقصة غرامه أو على الأقل فى حين تتجه سعادته وقصة غرامه اتجاهاً خاطئاً .

فقد مضى عليها الآن أكثر من خمسة عشر يوماً منذ تسلمت آخر رسالة جاءتها من روبن ، فليس بعيداً أن تكون صحيحة تلك الإشاعات التى اتصلت بها عن العلاقة بينه وبين الفتاة روت . فكيف السبيل إلى التأكد من الحقيقة ؟! فهذا الشك الفظيع هو الذى كاد يقتلها .

وابتسمت فيث لمرضتها بعد أن أصلحت شعرها وقالت :

— أنظرى الآن يا أخت جنا ! هل ترينى أعجب من يرانى ؟

فأومأت حنا برأسها إيماءة إيجابية وقالت :

— إنك لفتانة ياسيدتى .

فقالت فيث وفى عينيها معنى الخبث :

— هذه هى الفكرة ، فقد أعد المسرح ونحن الآن فى انتظار دخول البطل

وفى هذه اللحظة سمع نقر على الباب ففتحته حنا وتنحت مفسحة الطريق للدكتور جون سيمور

وكان الطبيب شاباً طويل القامة ، أسمر اللون ، تبدو على فمه إمارة الجد وفى عينيه معنى الإنسانية ، وكانت حنا ترتاح لنظره .

فمدت « فيث » للطبيب يدها البيضاء النحيلة وقالت :

— مرحى يا دكتور جون ! هل جئت لتوقع ورقة الوفاة ؟

فوقف الطبيب أمام السرير وانحنى ينظر إلى المريضة وقال :

— أظن أننى أستطيع أن أرجئ ذلك إلى مابعد يوم أو يومين

ثم وجه الطبيب الحديث إلى المرضة وقال :

— سأغير الدواء للمس ميرتون ياحضرة الممرضة .

فلوت فيث وجهها وقالت :

— إنك تحسن لو مزجت بالدواء نوعاً يقرب طعمه من طعم الكريز ...

— هذا الطلب يذكرنى بأن أقول لك إنه بعد شفائك يجب أن تستمرى فترة من الزمن منقطعة عن الكوكتيل والتدخين والسهر الطويل

فقطبت فيث وجهها وقالت :

— ليس لأحد من الرجال أن يتدخل على هذه الصورة فى شؤونى الخاصة فإن الحياة تفقد مباهجها فى نظرى ياد كتور إذا أنا كلفت نفسى كل ما تسألنى أن أكافها من حرمان ! وإنه ليجمل بى عند ذلك أن أمزق حذائى فى الحال

فلم يجب الطبيب على هذا الكلام ولكنه أمسك بالمعصم النحيل بين أصابعه ونظر إلى مريضته نظرة الجد . وانتهزت الممرضة حنا هذه الفرصة لتنظر إلى صفحة وجهه نظرة المختبر الدقيق . وما من شك فى أن الطبيب كان جميل الوجه ، فلا عجب إذا أحبته مريضاته وأغرمن به ، ولا عجب إذا أرادت فيث ميرتون أن تتجمل وتتخذ من أسباب الزينة مايزيدها فتنة وجاذبية استعداداً للقائه

وحدثت الممرضة نفسها وهى تنظر إلى المريضة وطبيبها بأنهما إذا تزوج أحدهما من الآخر كانت

زيجتهما صفقة رابحة ، فإن أموال فيث تساعد طبيباً قروياً مثله على النهوض بعمله الضئيل وتوسيع دائرته ، وحزم الدكتور جون كفيل بأن يكبح جماح هذه الفتاة المرحة الفارغة الرأس التي ظنت أن خير ما في الحياة هو اللهو والعبث . فإن الأضداد تستطيع دائماً أن تحسن العمل إذا سارت جنباً إلى جنب

واستمر الدكتور جون جالساً وقتاً طويلاً على الرغم من أنه يعلم كما تعلم فيث وكما تعلم حنا أن حالة مريضته لا تدعو إلى القلق . بل هي على العكس من ذلك قد وصلت إلى مرحلة النقاهة . ولكنه استمر جالساً وأطال الجلوس

وقالت فيث على أثر انصراف الطبيب تخاطب الممرضة :

— أتذكرين ما قلته لك ؟ هل هناك من رجل يبدي من دلائل الحب العميق أكثر ...

فقطعت الممرضة على مريضتها الحديث بقولها

— لقد حانت الساعة التي يجب أن تتأهبي فيها للنوم ...

فعبست فيث وقالت :

— لا تكوني هكذا كالقط الشاكس ! ألا أستطيع أن أتحدث عن الدكتور جون إذا أنا أردت ذلك ؟ يجب أن تعترفي بأنه جميل إلى حد مزعج .

فصاحت حنا في حدة :

— إنه لأجمل جداً من أن يكون طبيباً

فقالت فيث منهمكة :

— أحسب أنى كنت أتقدم فى طريق الشفاء بأسرع مما تقدمت لو أنه كان ذا لحية وخطها الشيب يسير متكئاً على العصا ! حسن؛ إننى لن أفعل ذلك، وسأتلكأ فى طريق الشفاء وسأكون مريضة تسترعى اهتمام طبيبها ما دام يريد هو ذلك . عجباً ، إن الرجل المسكين لا بد أن يكون معذوراً فى إطالة قبضه على يدى ! ألم تلاحظى أنه اختبر سرعة نبضى ثلاث مرات هذه الليلة ؟

بلى، لقد لاحظت حنا ذلك

وألقت فيث رأسها على الوسائد مسترخياً وقالت وهى تنظر إلى حنا :

لقد كنت أخشى أن يصبح هذا المرض عبئاً يثقل علىّ حمله ، ولكننى أرى الآن أننى لا أبالى به مثقال ذرة ، ففى حضرة طبيب جميل يحمل قلبه على كفه، ووجود ألطف وأرق ممرضة فى العالم، لا أجد موضعاً للشكوى على الإطلاق

فتأثرت حنا تأثراً فجائياً وانحنت على مريضتها فقبلتها ، فقد كان فى تكوين فيث شيء يجذب إليها الناس ، وكانت على بينة من شعور الدكتور جون ، كما كانت تعلم أن الحب هو أحسن علاج فى الوجود ، وقد أحدث العجائب فى مرض فيث . وعما قريب تصبح فى غير حاجة إلى ممرضة

وساءلت حنا نفسها بعد أن طافت هذه الأفكار برأسها :

وماذا عسى أن يحدث لى عندئذ ؟ أأبحث عن مريضة أخرى أسهر عليها أم ترانى أتزوج من روبن ؟

لقد كانت الفتاة منذ سنتين على استعداد للزواج من روبن ، وقد أنهت — فى مخيلتها — كل غرفة فى جهاز العرس ، كما رتبت فى عناية أثاث كل غرفة من غرف بيتها الخيالى

غير أن « روبن » كان دائم الاعتذار . فهو مرة غير مطمئن إلى البقاء فى العمل الذى يشغله ، ومرة لا يجد بيتاً يستأجره ، وتارة يقول إن الوقت صعب والمال شحيح ، وطوراً يقول : خير أن يتزوج الإنسان فى سعة من أن يتسرع ثم يندم ساعة لا ينفع الندم !

فلم يكن أمام حنا إلا أن تستمر فى التمريض بينما « روبن » مستمر فى الاعتذار

وما تشك الفتاة فى أن خطيبها يحبها ، لقد كانت من ذلك جد واثقة وكل هذه الإشاعات التى أثيرت حول علاقته بالفتاة « روث » لا تستند إلى أساس من الحقيقة ، فإن هى إلا تقولات بليدة سخيفة يختلقها أناس بلداء سخفاء . . وقد اعتزمت الفتاة ألا تصدقها وألا تصغى إلى مروجيها

صاحت المريضة تدعو الأخت حنا مكررة النداء وكانت حنا واقفة فى مرقبها من الشباك تنظر إلى الطريق على عادتها . وكان ساعى البريد قد اعتاد فى الأيام الأخيرة أن يبطىء فى الحضور ، بينما اعتاد الدكتور جون أن يبكر فى مواعيد زياراته . ورأت حنا عربة الطبيب العتيقة ذات المقعدين تقف أمام مدخل الباب ، فردت على نداء المريضة :

— ها هو ذا قد أقبل يا عزيزتى

فصاحت المريضة :

— أسرعى بالمرآة إلىّ ، فإنى لأكاد أشبه الغراب !

كان من العادة أن تعفى حنا من العمل ساعتين كل يوم بعد الظهر ، وأن تتغيب نصف يوم كل أسبوع ، وكانت الخادم تحل محلها لدى المريضة فى أثناء راحتها أو غيابها ، فلما عادت فى أحد الأيام بعد عطلة نصف اليوم ، وجدت سيارة الدكتور جون واقفة أمام الباب ، فصعدت السلم مسرعة خشية أن تكون

مريضتها قد ساءت حالها على حين فجأة ، ولكنها [illegible] حين سمعت صوت الدكتور جون الحنون يصل إلى أذنيها من خلال الباب نصف المفتوح ، وهو يقول :

— إننا لن نتناقش فى ذلك مرة أخرى إذا كان الأمر يضايقك ، وما أريد منك فى هذه اللحظة أن تقطعى برأى فى الموضوع ، فالوقت لا يزال متسعاً أمامنا ، وما زلت أنا شاباً ؛ ولا يزال فى مقدورى أن أكيف مستقبلى على ما أريد ، ولكنك تستطيعين أن تساعدينى إذا أنت أردت ، وإنى لمحتاج إلى إنسانة مثلك .

وما سمعت حنا هذه الكلمات حتى انصرفت تسير على أطراف أصابعها ، فلم يكن مثل هذا الحديث بالذى يقصد به إلى أن تسمعه ، واستمر الطبيب بعد ذلك عشر دقائق فى حضرة المريضة ، ثم انصرف ، وارتدت حنا ملابس التمريض وذهبت إلى مكانها فى غرفة فيث ، وكانت فيث لأول مرة مستلقية ساكنة هادئة يبدو عليها الانهماك فى التفكير ، فقالت المرضة :

— آسفة لأننى كنت فى الخارج عند ما حضر الطبيب

فدمدمت « فيث » :

— لا بأس فى ذلك ؛ فقد كان لدينا ما يحسن أن نتناقش فيه منفردين

واتجهت حنا إلى الشباك وأطلت منه فرأت سيارة الطبيب قد بدأت تتحرك فى الوقت الذى وصل فيه ساعى البريد على دراجته . فطارت الفتاة إلى الدرج تهبط عليه فى سرعة البرق وقد اشتد نبض قلبها ، وهى تقول فى نفسها : هذه المرة ... بالتوكيد هذه المرة ...

وسلمها الساعى خطاباً وكان من روبن ! فحدقت فيه كأنها لا تصدق عينيها فيما تريان . إذن لم ينسها روبن ! فهو لا يزال يحبها ، أما الفتاة روث فلا تشغل أية ناحية من نواحى تفكيره

فضت حنا غلاف الخطاب فى لهفة فلم تجده خطاباً طويلاً ، ولكن الإنشاء لم يكن من مواضع قوة « روبن » وجملة واحدة تكفى لكشف غرضه من الكتابة ... وهذا ما جاء فى الخطاب :

« فى نفسى شىء أريد أن أسر به إليك ، ولكننى لا أعرف كيف أصيغه كتابة . فهل لك أن تقابلينى حيث تشائين فى يوم عطلتك من الأسبوع المقبل ؟ على أننى أنتهز هذه الفرصة لأبلغك أننى قد تحسن مركزى على غير انتظار ، فقد دعانى الشيخ تشارلتون يوم أمس إلى مكتبه وأخبرنى أننى قد ارتقيت إلى مركز شريك أصغر ، فما رأيك فى ذلك ؟ »

لقد أدركت حنا معنى هذا الذى قرأته ، وليس معناه إلا أن أيام عملها ممرضة ولياليها المضطربة قد أوشكت على نهايتها . فروبن يريد أن يتحدث معها فى المستقبل وما يجب أن يعدا له . ولقد حال الخجل بينه وبين أن يكتب ما يريد أن يقول ، ولكنهما حين يجتمعان ... وهنا التهبت وجنتا حنا بحمرة الانفعال السعيد ...

ولما عادت حنا إلى غرفة المريضة فاجأتها هذه بقولها فى لهجة الناقد الدقيق :

— إنك أيتها الأخت حنا أجمل جداً من أن تكونى ممرضة

فاحمر وجه حنا حياء ومضت فيث تقول فى لهجة التأنيب اللطيف :

— ويجب أن تتزوجى

فلم تستطع حنا أن تجيب على هذا الكلام بأكثر من قولها :

— قد أتزوج يوماً ما . وقد يكون هذا اليوم قريباً ...

الزواج ! هو الحلم الذى يشغل رأس حنا ! إنها لترنو إلى اليوم الذى يصبح لها فيه بيت خاص بها ، إلى اليوم الذى تستطيع أن تنفق فيه المال ، وتبتاع الملابس ، وتعنى بحديقتها ، لا يقلق نومها صوت الجرس الذى يدق فى منتصف الليل ، وأنات المرضى المتوجعين ، والواجبات التى تصدع الرؤوس . اليوم الذى تتحرر فيه من قيد مواعيد قياس الحرارة ، ومن إعداد قناني الماء الساخن ، حرة فى أن تعيش كما يجب أن تعيش ، حرة أن تمتع نفسها بما تصبو إلى التمتع به .

وترقية روبن التى أنبأها خبرها هى الوسيلة إلى تحقيق هذا الحلم السعيد ، لأنها تمكنهما من الزواج بعد هذا الانتظار الطويل .

وبعد أسبوع قابلت حنا خطيبها روبن فى مقهى الطير الأزرق فى كلثون ، فلما مدت إليه يدها مصافحة ضغط أصابعها ضغطاً مؤلماً وهو يصيح :

— مرحى ، ياحنا !

فلمعت عينا الفتاة وهى تقول :

— إنه لمن السعادة أن أراك ثانية ياروبن ؟

فرد الفتى على هذه التحية بقوله :

— ألا تشعرين بحاجة إلى فنجان من الشاى ؟

فضحكت حنا وقالت :

— هل عرفت فى حياتك ممرضة لا تحتاج إلى الشاى ؟

وجلس الاثنان على مائدة فى أحد الأركان . وشرعت حنا تفرغ له الشاى فى فنجانه ، غير ناسية أنه يضع دائماً ثلاث قطع من السكر فى الفنجان الواحد ، وأنه يحب الشاى القوى ، وشعرت بأن صب الشاى لروبن أشد إثارة للنفس من صب قطرات الدواء للعجائز المصابات بالروماتزم . وعما قريب ستكثر من مشاركة روبن مجلس الشاى .

ونظرت حنا إلى صديقها بعين مستحيية وقالت :

— لقد كان عظيماً نبأ ترقيتك يا روبن !

فتناول روبن طبقاً فيه نوع من الفطير وقدمه إلى حنا وهو يجيب على قولها السابق بعبارة مضطربة إذ يقول :

— آه ... آه ... نعم ... ألك فى شىء من هذا الفطير ؟

فقالت الفتاة :

— أنسيت يا روبن أنى لا أستطيع أن أطعم هذا النوع من الفطير ، إنى أفضل قطعة من الخبز المادى المحمر

ومضى الفتى يتحدث فى شؤون مختلفة كالأشرطة السينمائية التى شهدها والروايات التمثيلية التى حضرها والكتب التى قرأها . فأصغت حنا لهذا الحديث متجلدة كما لو كانت تصغى إلى حديث مريض مشاكس ولكنها لم تلبث أن تنبهت إلى أن روبن ليس بمريض ممن تسهر عليهم . فسألته :

— متى تبدأ ياروبن عملك الجديد شريكا أصغر ؟

فبدا على الفتى شىء من الحيرة وقال :

— التعب فى الموضوع يا حنا ... هو ... هو أنى لن أشتغل هنا بعد الآن ، فقد قررت الشركة إرسالى إلى نيويورك

فصفقت الفتاة طرباً وصاحت :

— مرحى ! لقد كنت أصبو دائماً إلى الحياة فى أميركا . ألا ترى يا روبن أن الحياة هناك ستكون مثيرة لعواطفى ؟

ولكن روبن لم يجب على هذا الكلام ، وسادت

ألمّ فترة سكون طويل عميق غامض انزعجت له نفس حنا ، فلم تلبث أن نظرت إلى وجه روبن وقد علته حمرة الخجل ، فأدركت الحقيقة على حين فجأة وسألته فى هدوء :

— إذن كان صدقاً ما شاع عن العلاقة بينك وبين روث يا روبن ؟

فهز روبن رأسه إيجاباً وقال :

— أخشى أن يكون ما شاع صحيحاً ، ولقد كنت أحاول منذ جلسنا هنا أن أخبرك ولكننى كنت أجبن من ...

فقطعت حنا عليه الحديث قائلة ، وقد ملكت عواطفها :

— ولا شك فى أنك تكون أجبن من ذلك إذا أنت تزوجت من امرأة لم تحبها . وإنى لأستطيع أن أحتمل هذه الصدمة يا روبن ؛ وأتمنى لكما السعادة فى الحياة

إنها لمهزلة أن تجلس حنا فى ذلك المقهى تصب الشاى لروبن متذكرة ما يحبه وما لا يحبه من قوة الشاى وقطع السكر ، وعجبت إذا كانت روث تعلم أيضاً بهذا الاجتماع وما يجرى فيه

لم تدمع عين حنا من أثر الصدمة التى أصابتها ولم تعتب على صاحبها ، واقتصرت على أن صافحته مودعة ، وانصرفت تمشى الهوينا فى شارع هاى استريت ، بينما عاد روبن مسرعاً إلى محطة سكة الحديد

ووقفت سيارة الدكتور جون على حين فجأة إلى جانب حنا فقال الطبيب :

— هل أستطيع أن أوصلك أيتها الأخت حنا ؟

فوثبت حنا إلى العربة وكانت هذه هى أول مرة يدعوها فيها الدكتور جون بعبارة « الأخت حنا »

وضحك الطبيب لما بدا من إجفال الفتاة وقال :

— هل يضايقك أن أستعير هذه التسمية من المس ميرتون ؟ فقد كانت هى التى تناديك هذا النداء أم ترينى مخطئاً ؟

فأجابت حنا وهى تجلس إلى جانبه :

— نعم يا دكتور هى التى تناديني بهذا النداء

فحرك الطبيب العربة وهو يقول :

— هذا حسن جدا ... وعلى فكرة لقد كنت أراك دائماً تطلين من الشباك على الطريق ...

فعضت حنا شفتها ، وقالت فى نفسها : إنه لن يراها فى الشباك بعد الآن ، فلم تعد بها من حاجة إلى الترقب ، ولم يعد أمر ساعى البريد ليهمها فى كثير أو قليل

وجرى الحديث بين حنا والطبيب فى أثناء الطريق على المريضة فقال الطبيب :

— ستغادر مسس ميرتون الفراش بعد قليل ، وقد لاحظت أن لهؤلاء الفتيات الحديثات تكويناً عجيباً . وهى فى الواقع أصبحت فى غير حاجة إلى ممرضة

فقالت حنا فى شىء من المكر :

— ولا إلى طبيب أيضاً !

فقطب الطبيب جبينه وقال :

— ولكن لابد لى من أن أزورها بضع مرات أخرى فالأمر كما ترين ...

ثم حبس الطبيب الكلام فى فمه وعاد فقال :

— آسف فقد كدت أفشى لك سراً ، وقد طلبت منى فيث أن أحتفظ به لنفسى إلى حين

فلم تقل حنا شيئاً ، فقد كانت على علم بما يرمى إليه ، فليس من المفروض أن يقع الأطباء فى غرام مرضاهم ، ولكن من ذا الذى يستطيع أن يملك نفسه دون الوقوع فى حب فيث ؟ وفيث نفسها

كانت تداعبه فى خلاعة حتى فى حضرة حنا نفسها !

ووقف الطبيب سيارته أمام البيت وقال :

— لن أدخل الآن ولكن أرجو يا حضرة الممرضة أن تتصلى بى إذا احتجت إلىّ .

فقالت حنا مبتسمة :

— سأفعل يا دكتور

فقال الطبيب :

— وعلى فكرة ! أيتها الأخت حنا ...

ثم تردد لحظة عاد بعدها يقول :

— أرجو متى انتهت مهمتك فى هذا البيت أن تحضرى لزيارتى فسأجد لك عملاً عند مريض آخر

فأجابت فى هدوء :

— أشكرك يا دكتور .

وقالت الفتاة فى نفسها وهى تصعد السلم : « مريض آخر ! لقد تعبت من المرضى والسهر عليهم إنى لأصبو إلى النعيم والخيال والحب ، وكل شىء مثل الذى تنعم به فيث ! »

وكانت فيث الآن فى دور النقاهة ، فهى تجلس وتنتقل من غرفة إلى أخرى وتخرج قليلاً إلى الشرفة. وأدركت حنا أن أيامها فى ذلك البيت قد قاربت النهاية فلا بد لها من أن تغادره قريباً وأن تبحث عن عمل آخر .

وبعد قليل كانت فيث فى الحديقة تقود سيارتها وتستقبل أصدقاءها ؛ وكانت حنا تحزم حقيبتها استعداداً للرحيل .

ولم تكن الفتاة راغبة فى ترك ذلك البيت الذى كانت تنعم فيه بشىء من الراحة والسعادة على الرغم من جناية روبن ... وستشعر بعد رحيلها بوحشة لابتعادها عن فيث وما يحيط بها من مظاهر المرح والأنس ، ولحرمانها الصداقة الوفية التى بدت من جانب الدكتور جون

فكرت الفتاة فيما عسى أن يكون المستقبل مخبئاً لها ، فقد تجد عملاً عند مريض آخر وقد يكون شيخاً مضطرب الأعصاب ، يتعبها بطلباته فلا تقف لها قدم عن الحركة طوال الليل والنهار ... فهى غير راغبة فى مغادرة هذا البيت

شفيت فيث ، وجاءت ساعة الوداع فعانقت ممرضتها وهى تقول :

— سأشعر بوحشة للأخت حنا ! ولا بد لى من أن أتزوج سريعاً ، وسيكون لى كثير من الأطفال وسأعيدك إلى بيتى مرة أخرى يا عزيزتى

فابتسمت حنا وقالت :

— أرجو أن تتزوجى منه قريباً ، وإنى لواثقة من أنك تستطيعين أن تحيطيه بأجمل مظاهر السعادة

فحملقت فيث بنظرها فى حنا وقالت :

— أتزوج منه ؟ من هو الذى تقصدين ؟

فحملقت حنا بدورها فى فيث وقالت :

— أقصد بالطبع الدكتور جون !

فضحكت فيث ضحكا عالياً متصلاً وقالت :

— هل جننت يا عزيزتى ؟

فجلست حنا مندهشة وقالت :

— ولكنكما متحابان !

فهزت فيث رأسها وقالت :

— يجوز أن يكون قد أحبنى ، ولكنى ما زلت طليقة القلب ، ولا شك فى أننى أعترف بأنه مليح صفحة الوجه ، وله شعر متموج جذاب ولكننى أطلب من الزواج شيئاً أكثر من ذلك ، وأخشى أن يكون ذوقى منصرفاً إلى البحوث البخارية والسيارات والطيارات وما إلى ذلك ، وإنه ليحزننى يا عزيزتى

ألا أستطيع أن أمثل لك الرواية الغرامية التي تخيلتها

فنظرت إليها حنا نظرة قاسية وقالت :

— إذن كان يجب ألا تشجعيه

فنظرت إليها فيث بدورها مندهشة وقالت

— أشجعه ؟

— وقالت حنا وقد شعرت بصدمة من تصرف فيث :

— نعم ... لقد كنت تحاولين أن تظهري في أحسن صورة كلما زارك

— ولكن ما أظنك يا عزيزتي كنت تريدين أن أظهر كإحدى الفجائر المقعدات ، والحق أن المرض ليصبح حملاً ثقيلاً لا يطاق إذا لم يستطع الإنسان أن يداعب طبيبه قليلاً

جزعت حنا لهذا الموقف وأدركت أن فيث لم تكن إلا عابثة . ولكن ماذا يكون وقع هذا الأمر في نفس الطبيب ؟ إنه أكبر جداً من أن ينظر إلى الحب هذه النظرة الطائرة . لقد حضر في ذلك المساء ليرى فيث فلما صاحبته حنا إلى غرفتها قال :

— أريد أن أرى المس ميرتون على انفراد في أمر خاص فإن كان ذلك لا يضايقك فأرجو ...

فاكتفت حنا بهذه الإشارة ومضت ، ولكن صوت المتحدثين كان يصل إلى أذنيها غامضاً . وأخيراً فتح الباب وسمعت صوت الطبيب يقول في صوت مرتفع ولهجة غاضبة :

— ولكن لماذا شجعتني هذا التشجيع كله إذا كنت لا تقصدين إلى تحقيق ما وعدت به ؟ إني غاضب منك أشد الغضب يا فيث !

فأجابت فيث في طلاقة :

— إنك تحمل كل شيء يا دكتور جون على محمل الجد . ولابد أنني كنت في ذلك المساء جد بلهاء عندما أجبتك « بنعم » ولكنني على كل حال لم أعن ما قلت

فلم يزد الطبيب على قوله : « صحيح » وكان صوته غاضباً وقد خرج من الغرفة وأغلق الباب وراءه في عنف ثم اندفع إلى الدرج يهبط عليه مسرعاً . فلحقت به حنا مسرعة فأدركته في الردهة وأمسكت بساعده وقالت :

— أوه ... دكتور ، أرجوك العفو إذا كنت قد سمعت شيئاً من حديثكما فقد كان صوتكما عالياً ، ولكني أرجوك ألا تسيء الظن بفيث ، وتذكر أنها كانت مريضة فلم تكن مالكة أعصابها ، وسيأتي اليوم الذي تدرك فيه الحقيقة ، وأنا أيضاً أعرف صدمة الفشل في الحب ... فأرجوك ...

وقطع الحديث صوت فيث وهي تنادي :

— الأخت حنا ! الأخت حنا !

فأسرعت حنا في الصعود وهي تقول :

— ها أنا ذي حاضرة يا عزيزتي

ووقف الدكتور جون لحظة ينظر إلى الفتاة الصاعدة السلم وقد بدت عليه أمارات الدهشة

ولآخر مرة سمعت حنا صوت فيث ينادي في لهجة التهكم ضاحكة :

— أيتها الأخت حنا ! يا أخت حنا ! من عساك ترين من الشباك ؟ هذا ساعي البريد يعود إلينا والدكتور جون يذهب !

فتلفتت حنا مجفلة وهي ترى من غير الطبيعي أن الطبيب يغادر البيت على هذه الصورة . وقد أنساها التفكير في الطبيب وما أصابه أمر ساعي البريد الذي

وصل فى ذلك الوقت ، إلى أن جاءتها الخادم بخطاب جاء به هذا الساعى

إنه خطاب من روبن ... فضت حنا غلافه وقرأت فيه ما يأتى :

« عزيزتى حنا ...

أرجو أن تغفرى لى ! فقد كنت أبله سخيفاً ! فأنا أعلم الآن أنها أنت وأنت فقط، لقد هزئت روث بفكرة الذهاب إلى نيويورك ، وفسخت خطبتنا ، فهل تتفضلين بمقابلتى مرة أخرى يا حنا ، ناسية الماضى مغتفرة لى ذنبى ؟ حبيبك (روبن)

وما انتهت حنا من قراءة الخطاب حتى سألتها فيث عرضاً :

— أخبار طيبة يا ممرضتى ؟

فعلت الحمرة الشديدة وجه حنا وقالت :

— لا أدرى ... على أنى أظن أن الوقت قد حان لذهابى

وهبطت الفتاة إلى الطابق الأول وطلبت من « كارتر » أن يحمل متاعها فى السيارة إلى محطة سكة الحديد وخرجت إلى الطريق ماشية

وكانت الساعة ساعة العمل فى عيادة الدكتور جون سيمور ، لذلك اضطرت أن تنتظر حتى ينتهى من عمله . حتى إذا دخلت عليه الغرفة نظر إليها منعما وقال :

— خير ؟ أرجو ألا تكونى مريضة ؟

فجلست الفتاة أمام الطبيب وقالت :

— لقد قلت لى منذ أيام يا دكتور جون إنك مستعد أن تجد لى عملاً إذا أنا احتجت إلى ذلك . والآن جئتك أطلب العمل

فنظر الطبيب إليها نظراً مستقيما وقال :

— كنت أظن أن هناك مسألة شاب وخطبة

فأجابت حنا فى ثبات :

— لقد كان ذلك ، ولكن لا وجود لهذا الشاب فى نظرى بعد الآن ، ولقد مهد لى فرصة جديدة للعودة إلى ما مضى ، ولكننى أفضل أن أجد عملاً آخر

فقال الدكتور جون فى هدوء :

— أريد أن أعرف منك يا حنا ماذا كنت تظنين على وجه الدقة ، فيما يتصل بالعلاقة بينى وبين مس ميرتون ؟

فاحمر وجه حنا وقالت له متلعثمة ...

— ولكن ... ألم تكونا ... أنت ... وهى ...

فهز الطبيب رأسه وقال :

— لقد كنت جد مخطئة فى ظنك . فالأمر كله أننى كنت أحاول إغراءها بأن تنزل عن شىء من مالها الكثير الذى تبعثره فى الهواء لبناء مستشفى قروى . وقد وعدتنى بذلك ثم أخلفت الوعد

فتنهدت حنا وقالت فى دهشة :

— أوه ...

فحدق الطبيب فى الفتاة وقال :

— ولكن ما الذى حملك على أن تظنى غير ذلك ؟

فأجابت حنا فى لهجة الجد :

— لقد كنت أنت تعلم وكنت أنا أعلم أن حالة المريضة لم تكن تدعو إلى أن تزورها مرتين فى اليوم

فابتسم الطبيب وقال :

— ولكننى لم أكن أحضر لزيارتها ، إنما كنت أحضر لأننى لم أكن لأستطيع الانقطاع طويلاً عن رؤية الأخت حنا الصغيرة وهى تنظر من الشباك وديعة فتانة

فقطبت حنا نظرها وقالت :

— أوه ... عجباً !

فمضى الطبيب يقول :

— وكانت ترقب على ما أظن مجيء ساعي البريد يحمل لها رسالة من حبيبها

فقالت حنا :

— نعم كان ذلك أول الأمر . ولكنها لم تكن في الأيام الأخيرة لتهتم بأمر ساعي البريد حضر أو لم يحضر . وعندما انصرف الدكتور جون من البيت هذا المساء ... أحست هي ... هي ...

ثم رفعت الفتاة رأسها ومضت تقول :

— لقد نسيت ما جئت من أجله ، فأنا إنما جئت أطلب منك العمل الذي وعدتني به ، فأين هو هذا العمل يا دكتور ؟

فتظاهر الطبيب بأنه يفحص بعض الأوراق على المكتب وقال :

— آه ... نعم ... إنها حالة محزنة حقاً . حالة شاب في مقتبل الحياة ، أمامه مستقبل حسن يبشر بالنجاح ، وبكل شيء طيب ، ولكنه يشكو من تعب القلب ، وكان يظن أن مرضه غير قابل للشفاء ولكنك إذا توليت أمره يا عزيزتي حنا ...

فسألته حنا في هدوء :

— وما اسم هذا الشاب ؟

أجاب الطبيب :

— جون سيمور

عبد الحميد محمدي

التأمين ضمان المستقبل

أمنوا على أموالكم وأرواحكم

لدى :

﴿ شركة مصر لعموم التامينات ﴾

تحافظوا على مقتنياتكم ضد :

كوارث الحريق ... والنقل بأنواعه ...

وأخطار السيارات ...